ما هي أسرار الصلاة وفلسفتها في المذهب الشيعي

<"xml encoding="UTF-8?>

لا شك أن جميع الاحكام الالهية تتوفر على فلسفة و علّة خاصة بها، و لكن ليس من الضرورى البحث عن جميع تلك العلل و الملاكات الموجودة فى الاحكام، فان الانسان المؤمن عليه التسليم و الاذعان أمام الاوامر و النواهى الالهية و عليه ان يتوفر على روحية الايمان بحكمة البارى تعالى فى جميع ما يصدر عنه عزّ شأنه، ثم ان الغاية من بعض الاحكام الالهية الامتحان و الاختبار الروحى و معرفة درجة التسليم و الاذعان التى تكمن فى قلب الانسان المؤمن، من قبيل الأمر الالهى لإبراهيم فى ذبح ولده اسماعيل (عليهما السلام).

و ما يمكن ذكره فى هذه المختصر هو: ان الاحكام الالهية و النظام العبادى ينطوى على علل و فلسفة خاصة، و الديل على ذلک.

الاول: مئات الآيات و الروايات التى تحث الناس على التعقل و التفكر و التأمل. [1]

الثانى: من الانتقادات التى وجهها القرآن الكريم للمشركين و عبدة الاوثان تقليدهم الاعمى للآباء و الاجداد بلا دليل او برهان. [2]

الثالث: أشار القرآن فى اكثر من موضع الى علة الحكم او حكمته. [3] و كذلک اشار الائمة المعصومون (ع) الى هذه الحكم و العلل الكامنة فى الاحكام، و التى جمعها العلماء فى مصنفات خاصة تحت عنوان علل الشرائع.

ومن هنا يمكن القول:

1- ليس من الضرورى معرفة جميع العلل و الفلسفات على نحو التفصيل، بل تكفى المعرفة الاجمالية.

2- من غير الصحيح فى البحث عن فلسفة الاحكام البحث عن الفوائد و المنافع المادية كالبعد الاقتصادى و

الصحی و... بل من الضروری الالتفات الی البعد المعنوی و الروحی و الاخروی الکامن فی تلک الاحکام و التشریعات.

3- لا ینبغی لمن آمن بحکمة البارى تعالى و أنّ ما یصدر منه من قوانین و دساتیر تنطلق من الحکمة الالهیة، البحثُ عن العلل و الفلسفات، بل ینبغی له ترک الامر الی الله تعالی.

و لکن مع ذلک کله نجد ان الصلاة و اجزاءها کالقراءة و النیة و التشهد و الرکوع و السجود و التسلیم و... قد ذکرت لها اسرار و علل کثیرة، نحاول هنا الاشارة الی نماذج منها:

الصلاة تنهی عن المنکر

قال تعالی فی کتابه الکریم مشیراً الی هذه الثمرة الکبیرة فی الصلاة : " إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْکَرِ". [4]

الصلاة تقضی على الغفلة

" فَاعْبُدْنی وَ أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِکْری". [5]

الصلاة عامل اطمئنان و سکینة

قال تعالی: " الَّذینَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِکْرِ اللَّهِ أَلا بِذِکْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب " [6]

الصلاة تقضی على الکبریاء

عندما یتوجه المصلی الی مصدر القوة المطلقة و یستمد قواه من تلك العظمة الربانیة التی لا یقارن بها أی عظیم و کبیر مهما کان، فحینئذ تحصل لدی المصلی حالة من التواضع و التنزه عن التکبر و الغرور الکاذب.

و بعبارة أخری: النظر الی القدرة الالهی یقضی على الغرور و التکبر و العنجهیة التی قد یتصف بها الانسان؛ و ذلک لانه عندما یکرر خلال الرکعات السبعة عشر التی یؤدیها یومیاً، وضعَ جبهته على الارض مرتین فی کل رکعة، لا یری

نفسه شيئا مقابل تلك العظمة الالهية، و بهذا يزيح ستار التكبر و الغرور عنها، و من هنا نجد أمير المؤمنين (ع) يصرح بهذه الثمرة الكبيرة للصلاة عندما قال: " فَرَضَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشِّرْكِ وَ الصَّلَاةَ تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبْر ". [7]

تقوية روح الانضباط

لاريب ان الصلاة تخلق لدى المصلى روح الانضباط و حبَّ النظام؛ و ذلک لما يعتاده من الالتزام بالوقت و اداء العبادة فى اوقاتها المحددة و بطريقة ايقاعية مرتبة كالنية و القيام و القراءة و الركوع و السجود و القعود و...، بحيث يعد الاخلال العمدى بها مبطلا لها، و الالتزام كاشفاً عن روحية منضبطة و نفس متكاملة.

التذكير بالمعاد

عندما يردد المصلى فى صلاته قوله تعالى "مالک يوم الدين" يتذكر ذلک اليوم و أهواله و ما يقرع القلوب فيه، ثم يدرک بانه سيقف يوماً ما ذلک الموقف الرهيب فعليه ان يعد العدة ليوم معاده و حشره.

التولي والتبري

و من الامور التى تنطوى عليها الصلاة و الفلسفات التى تكمن فى آيات سورة الحمد هى قضية التولى و التبرى، و هذا ما يدركه المصلى من خلال ترديده لقوله تعالى " اياك نعبد و اياک نستعين، اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم " [88] فيحبُّ الله تعالى و يتولاه و كذلک يتولى رسوله الكريم و الصديقين و الشهداء و الصالحين و يتبرأ من الاتجاه المعاكس للخط الالهى "المغضوب عليهم و الضالين".

و فى الختام نقول: إن بعض الروايات أشارت الى علل أساسية من علل الصلاة فعن محمد بن سنان أن أبا الحسن على بن موسى الرضا (ع) كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله: أن علة الصلاة إنها إقرار بالربوبية لله عز و جل و خلع الأنداد، و قيام بين يدى الجبار جل جلاله بالذل و المسكنة و الخضوع و الاعتراف و الطلب للإقالة من سالف الذنوب، و وضع الوجه على الأرض كل يوم خمس مرات إعظاما لله عز و جل و أن يكون ذاكرا غير ناس و لا بَطِر و يكون خاشعا متذللا راغبا طالبا للزيادة فى الدين و الدنيا مع ما فيه من الانزجار و المداومة على ذكر الله عز و جل بالليل و النهار لئلا ينسى العبد سيده و مدبره و خالقه فيبطر و يطغى و يكون فى ذكره لربه و قيامه بين يديه زاجرا له عن المعاصى و مانعا من أنواع الفساد. [9]

هذه نماذج من الآيات و الروايات التى تعرضت لبيان الآثار و الحكم المترتبة على الاحكام الالهية عامّة و الصلاة

خاصّة.

1- انظر: النحل، 44؛ آل عمران، 191.

2- الاعراف، 173.

3- العنكبوت، 45؛ البقرة، 183.

4- العنكبوت، 45.

5- ظه، 14.

6- الرعد، 28.

7- نهج البلاغة، الحكمة 252.

8- انظر سورة الفاتحة.

9- الشيخ الصدوق، من لايحضره الفقيه، ج 1، ص 214، جماعه المدرسين، قم، الطبعة الثانية، 1404ق؛ الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج 2، ص 317، مكتبة الداورى، قم، الطبعة الاولى.